

أضرار الحزبية على الأمة الإسلامية

تأليف: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد حذر المسلمين من سنن الجاهلية، وأبان لهم سبحانه وتعالى ضرر حمية الجاهلية، فقال عز من

قائل: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ﴾ [الفتح: 26]، ويا له من ضرر حصل على أولئك المشركين، من هذه الحمية، حمية الجاهلية، أدى بهم إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى، وإلى البقاء على عبادة غير الله، فلم من ذلك أنه لا يجوز لمسلم أن يستن بسنة الجاهلية، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في «صحيح البخاري»، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

فالمتابع سنة الجاهلية أبغض الناس إلى الله سبحانه؛ لأن الله جعلنا على شريعة، كاملة شاملة، تامة، قال الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنُ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجن: 18-19].

وإن من أبغض سنن الجاهلية، وأبشع سنن الجاهلية، لهي هذه الحزبية، فقد أحيوا بها سنة الجاهلية، الحزبية سنة جاهلية، إبليسية، وأول حزبي هو إبليس، عليه لعائن الله، قال الله سبحانه

وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 28-31]، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 75-76].

فأبان إبليس أن الذي حمّله على الكفر بالله، كفر الإباء والاستكبار، هو تحزبه، وتعصبه لجنسه، قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76]، وإن المتدبر لكلام الله سبحانه وتعالى، ليرى أن أمماً هلكوا بسبب التحزب، لقومهم ولأحبارهم ولرهبانهم، حتى أدى بهم ذلك التحزب والتعصب، إلى عبادة من تحزبوا وتعصبوا له، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن اليهود، فحصل بذلك التحزب والتعصب تقديس لغير الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا

إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

فالتحزب طاغوت من الطواغيت، وانظر إلى ما أخبر به سبحانه وتعالى عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام، وقد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14] وفي هذا الزمن الطويل، مع ما أبانه الله سبحانه وتعالى من حكمة نوح، وتنوع دعوته لقومه، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وبشتى الأساليب، إلا أن قوم نوح لم تسمح لهم العصبية الحزبية باتباع ذلك الحق، الذي أرسل الله به رسوله، وبقوا كما ذكر الله عنهم: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح: 21-23].

انظر الآن وجه التعصب والتحزب لأحجار وأصنام، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]، ومع هذه الدعوة الطويلة يقول ربنا سبحانه وتعالى مبيناً تعصبهم وبعدهم عن الحق، ﴿وَمَا آمَنَ

مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:40]، لتعلموا ضرر الحزبية، وأن الحزبية قد تؤدي بصاحبها إلى أضرار خطيرة، دينية ودنيوية، وهكذا نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام، يقول الله سبحانه وتعالى عنه وعن قومه، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ * قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّآ لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: 61-62]، ما الذي حملهم على الكفر بالله سبحانه وتعالى؟ العصبية الحزبية، لما يعبد آبائهم، ولطريقة آباءهم.

ولهذا فإن رسول الله ﷺ من أول دعوته وهو يربي، ويؤدب أصحابه على البعد عن هذا المرض الفتاك، ففي «الصحيحين» من حديث أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه، حين سأله هرقل: ما يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم. يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف، والصلة.

وحين هاجر النبي ﷺ آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، إلغاء لهذه العصبية، حتى لا يقول المهاجري: يا للمهاجرين، ولا يقول الأنصاري: يا للأنصار، ولما كسع رجل من المهاجرين، رجلاً من الأنصار فقال بعض المهاجرين: يا للمهاجرين، وقال بعض الأنصار: يا للأنصار، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك، وقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها إنها منتنة».

فهذه العصبية الحزبية منتنة، ولقد فاح ننتها وضررها على المسلمين، وتفشى ضررها على المسلمين، ونحن ما نصرخ منها إلا لمرضها الديني والدنيوي، فإنه مرض فتاك، فرسول الله ﷺ حين كانت بين الأوس والخزرج دماء خطب يوم عرفة، وقال: «كل دماء الجاهلية تحت قدمي هذا»، فألغى تلك الدماء التي كانت في الجاهلية، إلغاء وإهداراً لما يتوقع من العصبية، حتى لا يأتي إنسان في الإسلام فيقول: فلان قتل جدي في الجاهلية، فيجد في نفسه عليه، فألغاه رسول الله ﷺ حفاظاً على سلامة القلوب، وإلغاء لما يثير الشحناء والبغضاء كما هو شأن الحزبية العصبية، وانظر تحزب قوم نبي الله شعيب، قال

الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنفُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 84-87].

أجابوا باستهزاء واستهزاء لذلك النبي العظيم الكريم، عليه الصلاة والسلام، بسبب العصبية الحزبية لقومهم، وهكذا فرعون ينفخ قومه بالعصبية الحزبية يقول: ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَايِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 51-56].

المُحزب والمُتَحَزَّب له، كلهم أغرقهم الله سبحانه وتعالى؛ بسبب تعصبهم على الحق وأهله، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 127-128].

وانظر كيف عصبهم وعصبوه، حزبهم وحزبوه، يذرك وآلهتك، وابتعدوا عن دين الله، بسبب الحزبية العصبية، وقد ذم الله المنافقين وأنزل سورة كاملة فيهم، سورة المنافقون، وفي تلك السورة يقول الله سبحانه وتعالى عن عصبية أولئك النتنى، من ابن سلول وجماعته، ﴿يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8].

طمس الله بصائرهم، بسبب عصبيتهم، حقدوا رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة، وأفاضلهم، العصبية لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، ولا تعرف لذي فضلٍ فضله، وإنما من كان معهم فهو المقرب، ومن ابتعد عنهم أو حذر منهم فهو

المبغوض عندهم، فيها تحقير لما عظم الله، وتعظيم لما حقر الله، ومما تتضمن الحزبية الدعوة الجاهلية العصبية، وقد قال النبي ﷺ: «من قاتل لعصبية»، أو قال: «لحمية فليس من أمتي».

وفي رواية: «مات ميتة جاهلية»، وقال عليه الصلاة والسلام، كما ثبت من حديث عمرو بن أقيش، حين كان له رباً في الجاهلية، فكره أن يسلم قبل أن يأخذ ربه، فأتى يوم أحد فقال: أين بنوا عمي؟ قالوا: في أحد. أين فلان؟ قال: في أحد. أين فلان؟ قالوا: في أحد. فانطلق إليهم، فلما رأوه قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني أسلمت، آمنت، فقاتل فقتل، فجاء سعد بن معاذ إلى أخته فقال: سليه -قبل أن يموت- أحمية لقومه أم غضباً لله ولرسوله؟ فقال: بل غضباً لله ولرسوله، قال: فدخل الجنة. الحديث.

وشاهدنا أن الذي يقاتل الكفار والمشركين، ولم يكن قتاله لله سبحانه وتعالى، وإنما كان عن تعصب وتحزب، فإن قتاله ذلك يكون ضرراً عليه، وهو من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «أول من تسعر بهم النار يوم القيامة... ورجل قاتل فيؤتى به يوم القيامة فيعرفه نعمه فيعرفها، فيقول: ماذا عملت فيها؟ فيقول: قاتلت فيك، فيقال: كذب، إنما قاتلت ليقال: شجاع، ثم يسحب على وجهه في النار»، لأنه لم يكن عمله لله سبحانه، «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»، فاحذر حتى وإن كنت سالماً سيفك، أو سلاحك على الكفار، احذر أن تطراً عليك العصبية الحزبية لقومك، وليس لله ولا لرسوله عصبية للدين، فتهلك بذلك، وكن من أنصار الله، قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:14].

وقال سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]، ليس هناك غير حزب الله سبحانه، أو حزب مخالف معصب لهواه، ولفرقتة.

إن من أضرار هذه الحزبية العصبية: هو تفرقة المسلمين، وتمزيق المسلمين، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].

هذه أمة واحدة، كتابها واحد، قبلتها واحدة، نبيها ورسولها واحد، دعوتها واحدة، فعندهم كتاب وسنة، هجمت عليهم الحزبية، وجعلتهم شذر مذر، وألقت في قلوبهم العداوة والبغضاء لمن تمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفي الصحيحين من حديث حذيفة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأیما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين، أبيض مثل الصفاء لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه».

إن العصبية الحزبية هي التي أوبقت اليهود بعد أن عرفوا رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم، قال الله سبحانه عنهم:

﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89].

ولما قال النبي ﷺ لذلك اليهودي: «أشذك الله، هل تعلم أني مذكور في التوراة رسول الله؟»، قال: إنا نجد مثلك، وكنا نظنه منا، عناد الحزبية، وعناد العصبية، جعلهم يكفرون بالله سبحانه وتعالى، ولا ينصاعون ولا ينقادون للحق.

من أضرار الحزبية: عدم العدل والإنصاف، ما في الحزبية عدل أبداً، فإنك تجد المتحزب مسلط سلطته ومكانته، ومنصبه، لنصرة حزبه، وفرقته، ومن كان معه على شاكلته، وهذا إتياع للهوى، وليتباعاً للحق، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26].

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23]، ما بال المسلمين الآن، أمرهم الله أن يكونوا أمة واحدة، فكانوا ألف الأمم، ضد ما أمر الله سبحانه

وتعالى، الله يقول: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103] والحزبيون يقولون: تفرقوا. الله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، ولسان حال الحزبية تقول: تعاون مع من كان معك ولو كان يهودياً، أو نصرانياً، أو بوذياً، أو هندوسياً، أو اشتراكياً، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: 92]، والحزبية لسان حال تقول: ألف أمة، أو ألفان، أو ثلاثة آلاف، أو أكثر أو أقل، كل واحد يصب جهوده لمن كان معه، لا يعرف قدراً للمتمسك بالكتاب والسنة، وينكر هذا الضلال الباطل.

الحزبية فيها إلغاء الولاء والبراء الصحيح، تمزيق للمسلمين، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31-32]، على ما يا عباد الله تقلدون اليهود والنصارى، وتتركون ما أمركم الله سبحانه وتعالى، وتتصبون العداوة لمن قال: هذا حرام، ومن نصح لكم رحمة ورفقاً، على ما تمسكون المساجد لمن كان في حزبكم!، وتتأون وتنهون عن يقول: قال الله، قال رسوله؟!، على ما هذا التضيق على السلفيين، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ

يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿البروج:8﴾، على ما هذا التضييق على السلفيين، وهم يقولون: قال الله، قال رسوله ﷺ، فالصوفي ينصب لهم العدا، ويتحزب لفكره، ولتصوفه، والرافضي ينصب لهم العدا ويتحزب لفكره، ولرفضه، والإخواني ينصب لهم العدا ويتحزب لإخوانيته، وفكره، وهكذا سائر الفرق، تنصب لهم العدا، كل ذلك من أجل أنهم يقولون: قال الله، قال رسوله.

فاتقوا الله يا عباد الله، أين الولاء للحق، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71].

أأنت ترغب عن هذه المحامد، وترغب أن تبتعد عن هذا الخير من أجل العصبية، ومن أجل أن يُنصر فلان، أو علان، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهَ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 166-167].

هكذا يقول الله سبحانه وتعالى، فانتهبه أيها المسلم، عليك بالولاء لله ولكتابه ولرسوله، وللمؤمنين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ما صفات هؤلاء المحبوبين إلى الله؟ قال: ﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحزبية تلغي هذا الجانب، جانب المحبة في الله؛ إلا لمن كان في صفهم، وفي حزبهم، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: 54].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73].

لقد رأينا والله الفتنة والفساد الكبير، الموظف الإخواني: إن جاءت معاملة للسني نحاها، وذلك الموظف الرافضي إن جاءت معاملة لحزبي، أو معاملة لإخواني، أو لسني أو لغيره، ممن لا يرضاه، نحاها، وذلك الموظف الصوفي إن جاءت معاملة لمن لم يكن معه نحاها، كل واحد يخدم فكره، لا يخدمون الدين الحق، خدمة صحيحة كما أراد الله سبحانه،

وحتى أيضاً لا يخدمون الشعب كما يقول، هو إنسان حكومي، حكومي إذا دخلت عليه فكرة التحزب خرب، ما يصير حاكماً كما أراد الله، يصير حاكماً كما أرادت الحزبية؛ إلا من رحم الله عز وجل، فالحزبية ضد ما أراد الله سبحانه وتعالى لعباده، ففي «الصحيحين» عن النعمان أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»، الحزبية ضد ذلك، ينفس عن حزبه، وصاحب حزبه، ما هو عن سائر المؤمنين، لا هذا من فرقة كذا، «ومن ستر مسلماً ستره الله، ومن يسر على معسر يسر الله عليه، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه»، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]، والنبي ﷺ يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، هذه كلها ضعيفة هزيلة عند الحزبيين، وتكاد تكون منقرضة منصرمة، من واحد إلى آخر،

لكن خلل عظيم حاصل فيها في هذه الجوانب، عند من تحزب، ما سبب موت أبي طالب؟ يعرف هذا كل طالب سمع الحديث، موت أبي طالب على الكفر بالله، بسبب الحزبية العصبية لمشركي قريش، بل وقريش مات كثير منهم على الشرك بالله، بسبب العصبية لأصنامهم، ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ [ص: 5-6] ينطلقون إلى الأحجار والأوثان، ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: 6-7]، كذبوا رسول الله ﷺ واعتبروه مختلفاً للأقوال بسبب العصبية للأحجار، وأبو طالب يقول له النبي ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج بها لك عند الله»، فيأتي أبو جهل بن هشام، وينفخه بالحزبية العصبية، ويقول له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وكان آخر كلام أبي طالب أن مات على العصبية وكان من أهل النار، قال المسيب بن حزم كما في الصحيحين، كان آخر كلامه أن مات على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله، وقال النبي ﷺ: «هو في ضحضاح من النار».

أيضاً نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بذل وسعه في دعوة أبيه، بلطف ورفق، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [مريم: 42-46].

فأجابه جواب عصبى، متحزب للآلهة، وهو يدعو إلى الله عز وجل، فأجابه قائلاً: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً * وَأَعْتَرِلُكُمُ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾ [مريم: 46-48] الآيات.

ونهى الله عز وجل نبيه محمد ﷺ عن الاستغفار للمنافقين، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، أوقفته العصبية للأوثان، بعد أن استبصر

الحق، وكثير من بني إسرائيل، لجوا في الباطل واستمروا فيه عناداً وعصبية، وحزبية لما هم عليه.

الحزبية، سنة من سنن الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:23].

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج:8]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان:21] يقلدونهم ولو على هذا الحال، قال الله سبحانه: وإذا قيل لهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170].

فهما كان وهم ما زالوا مستمرين في العصبية الحزبية لقومهم، مما أدى بهم إلى إباء الحق، والبعد عنها، فيا معشر المسلمين نزهاوا أنفسكم، وادعوا الله أن يعينكم على أنفسكم بالتجرد للحق، ولنصرة أهله، وللبعد عن العصبية الحزبية التي

هلكت بها أمم، والتي هي سنة جاهلية إبليسية، يهودية، تضيق جانب الولاء والبراء، وجانب المحبة لله سبحانه وتعالى تضعفه.

المؤمن يجب أن يحب في الله، ويبغض في الله، والحب في الله والبغض في الله، من أوثق عرى الإيمان، لكن الحزبية إذا قال له: من أين هذا؟ قال: هذا من حزب كذا، ينظر إليه شزراً، ولا يعرف له قدراً، بسبب أنه لم يكن في حزبه، ويتعاطف مع النصراني، أو يتعاطف مع إنسان يحاد الله ورسوله، والله يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

الحزبية تلغي فضل الأفاضل من عندها، وربنا سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ - حزب من؟ - ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

والله سبحانه يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54] ، والله سبحانه

وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3].

مفهوم ذلك أن من آمن وعمل صالحاً فهو خارج من الخسارة لا يجوز أن يحقر، ولا يجوز أن يعظم الخسران في دينه، ويقول الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الاسراء: 70]، وهذا التفضيل خاص بمن كان على تقوى.

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ وَالِيتِ نِيزًا وَالرَّيْثُونَ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 1-6].

كيف أنت تحقر من آتاه الله الأجر الكثير؟، فالله يعظمه وأنت تحقره!، الحزبية تسبب العداء لأولياء الله، والنبى ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه عز وجل: «من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبادي يقترب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته

كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»، وأنت تنصب العداء لله سبحانه وتعالى، لا قدرة لك يا أخي، ليس لأحد قدرة أن يحارب من أراد الله الدفاع عنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:38]، سواء كان التحزب العصبي، أو كان التحزب القبلي، أو التحزب القومي.

وانظروا إلى التحزب المذهبي، كيف يحقر أحدهم الآخر، يروي بعضهم حديث يخرج من أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، وأبو حنيفة سراج أمتي، وهو حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، فيتخذ حديث ويكذب على رسول الله ﷺ من أجل أن يزهد الناس في الشافعي، ومن أجل أن يحبب إليهم أبا حنيفة.

وآخر يقول:

أنا شافعي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتشفعوا لماذا البوشنجي رحمه الله ما أوصى الناس أن يتبعوا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وقد وأوصى بذلك إمامه، ولكنه التعصب

المذهبي، والإمام الشافعي يقول: (إذا قلت قولاً يخالف الحديث، فاعلموا أنني راجع عنه في حياتي وبعد مماتي). وقال له رجل لما ذكر الحديث: أتعلم به؟ قال: (أترى على وسطي زناراً، أترني في كنيسة، أقول: ثبت الحديث، وتقول: أتعلم به؟ يا قوم إذا ثبت الحديث فهو مذهبي. إلى آخر أقواله العظيمة، المدونة فيما دونه أبو حاتم، والبيهقي رحمة الله عليهما فيما يتعلق بانصياع الإمام الشافعي، وحث الناس على إتباع كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:3]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:7]، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63].

حصل من بعضهم أن المالكي لا يصلي خلف الشافعي، والشافعي لا يصلي خلف الحنفي، وهكذا كانت أربعة محاربين في المسجد الحرام، كل واحد يصلي في محرابه، الشافعي له محراب، والمالكي له محراب، والحنفي له محراب، والحنبلي

له محراب، عدة مذاهب كل واحد ما يصلي خلف الثاني،
تهاجر وتقاطع.

وهكذا الحنفي يقول:

فلعنة ربنا عداد رمل على من خالف قول أبي حنيفة
على أن طلبة العلم يعلمون على أن أبا حنيفة رحمه الله من
أبعد الناس عن الدليل، وأنه صاحب رأي، وما كان معروفاً إلا
بالرأي، ومدرسته في ذلك الزمن بالكوفة، مدرسة الرأي.

وأبو إسماعيل الهروي عليه رحمه الله يقول:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنلوا
وبعضهم يقول: (لولا مالك لكان الدين هالك)، والله سبحانه
وتعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فكتاب وسنة يا أمة محمد، يجمعنا كتاب
وسنة، وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، فهم رسول الله
ﷺ، فهو السلف، قال: «أنا لك نعم السلف»، وفهم أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي، وسائر الصحابة رضوان الله عليهم،
فهم سلفنا، ومن سلك مسلكهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «افتרכת اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتרכת النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، من يرغب عن هذا الخير، إلا من سفه نفسه، وحرّم نفسه الرشد، فهذه العصبية الحزبية ألغت ما أراد الله سبحانه وتعالى من الاجتماع والتآخي، والتحابب، وهكذا العصبية القومية، والحزبية القومية، والفكر القومي، انظر إلى البعثية ماذا يقول أحدهم:

رضيت بالبعث رباً لا شريك له وبالعبوة ديناً ما له ثان ويقول:

لا تسألوا عن ملتي عن مذهبي أنا بعثي اشتراكي عربي يا أيها الناس، أما تدركون الفتنة في هذه الحزبية، من حصول الضغائن، ومن ضيق الصدور، ومن العداوة والبغضاء التي أرادها الشيطان، «إن تفرقكم هذا من الشيطان، إن تفرقكم هذا من الشيطان»، فالله أمر بالاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ، رحمة بنا، ورسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم حث على ذلك في سنته، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يأمركم بثلاث، وينهاكم عن ثلاث: يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه أمركم»، وزيادة المناصحة في مسند الإمام أحمد، «وينهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»، امتثلوا أمر الله، وأمر رسوله ﷺ، فلقد رأينا ورأيتم النكد والتعاسة، والبغضاء والشحناء، والفرقة، والفتنة بين المسلمين، كما أخبر الله سبحانه، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [أنفال:73].

وأنتم إن لم تكونوا بعضكم أولياء بعض، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، فليحذر امرئ على نفسه، ولا يكن متأسياً بابليس، ولا كذلك بالجاهلية، ولا بآزر، ولا بأبي طالب، ولا يضعف عنده جانب الولاء والبراء، فإن هذا يدل على ضعف الإيمان، ويجب على المسلم أن يتق الله.

وما حصلت قصة جنكيز خان، و هو لاكو، وتسلب التتار على المسلمين، إلا بسبب تعصب الرافضة، وتحزب الرافضة

مع فكرهم البطل اليهودي، فإن أصل فكرهم يهودي، فلهذا ناصروا الكفار، ورجعوا إلى فكرهم على المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ما اختصم خصمان في ربهم، إلا كان الرافضة ضد الإسلام.

هذا والله نصح الله، ولرسوله، وللمؤمنين أن يتقوا الله، ويتخلصوا من الحزبية، تخلصوا من هذا الإثم الموبق، ومن قد ابتلي بالحزبية، فلا يجمع إلى الحزبية الجور، وعدم العدل على حساب حزبيته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل:90]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:152]، ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:135] فالله خبير.

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبل بظالم

بعض المتصوفة، أو المتحزبة، إذا أراد إنسان طلب العلم، علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يصدده، والله عز وجل يقول: ﴿وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 94]، أما تتقي أيها المتحزب لفكرك، أو لحزبك من هذه الآية، ومن هذا الوعيد.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157]، والله ما ينقمون على أهل السنة مثقال ذرة، تخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على المنهج السني السلفي، ما عنده نقمة عليه، ولكنه الهوى الذي حمل المأمون على سجن الإمام أحمد، وأذية الإمام أحمد، وأذية المسلمين، والقتل والتشريد، وغير ذلك مما حصل بأصحاب هذا المنهج الحق، لتعلموا أن الحزبية العصبية تحمل صاحبها على الجور، وإن تظاهر أنه ما هو متعصب، وأنه رجل متماشي مع الناس جميعاً، وأنه وأنه، فاعلم أن الكامنة التي عنده تبعثه على غير الإنصاف، وتجعله يحيف مع صاحبه، ويجور مع صنفه.

فالمأمون لما تسلط عليه ابن أبي دؤاد، بالفكر الجهمي حمل المأمون الأمة جميعاً على القول بخلق القرآن، وأن من لم يقل بخلق القرآن إما إن يسجن وإن أن يقتل، وحصلت فتنة عظيمة في ذلك الزمن، ولم يثبت في ذلك الزمن إلا الإمام أحمد وأمثال الإمام أحمد، حتى قال علي بن المديني رحمه الله: إن الله حفظ هذا الدين باثنين، حفظه الله بأبي بكر في الردة، وبالإمام أحمد في المحنة.

ولا يثبت أمام الأباطيل والمنكرات، إلا من تجرد للحق، ورد الناس إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فهو القائل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، بسبب الحزبية، صار هذا يدعو لفكره، وهذا يدعو إلى فكره، وسببوا الفشل، والضعف بالمسلمين، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

فالحزبية تضعف القوة، وتذهب الريح، تذهب القوة، وهي أمر مقصود من اليهود والنصارى، ومع ذلك ترى من يتفوه،

ويتشدد بكلامه، ويقول: نريد حواراً هادئاً، ونريد الجدل المتماشى مع الناس.

أنت يا أخي، الآن يجب أن تتوب إلى الله عز وجل مما أنت فيه من الورطة، ومن الفتنة، ثم بعد ذلك إن حصل من اختلاف الأفهام شيء، طالب بذلك، وحُق لك أن تُطالب، وهناك شريط خاص فيما يتعلق بدعوى الذين يدعون بالجدال، أو بالحوار الهادئ، وهم أبعد الناس عن التفاهم الصحيح، المعتمد على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، امتثالاً لما أَراده الله وأمر به، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10]، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: 59].

قلنا هذا الكلام حرقه على المسلمين، مما يحصل لهم من التفرق والبعد عن المنهج السلفي الحق، فوالله ما يرغب عن المنهج السلفي إلا إنسان مشاق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

وأنا أطلب من إنسان يعارض هذا الكلام، أن يأتي ببرهان يثبت أن سبيل المؤمنين غير سبيل الصحابة، فسبيل المؤمنين هو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفهم الصحابة ومن تبعهم، فهم المؤمنون وقمة المؤمنين، وذروة المؤمنين، أما يسعنا ما وسعهم، وأن نكون أمة واحدة، وأن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، كما أمر النبي ﷺ، ونفى كمال الإيمان عن من لم يتحقق فيه ذلك، «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، ثم ترى المتشدين يقولون: هؤلاء ما يريدون جمع الكلمة.

يا إخوان، ألا تتقوا الله من تقليب الحقائق، ما تتقون الله، ما يسعكم هذا المنهج جميعاً، والله عز وجل قد أمر نبيه أن ينادي أهل الكتاب إلى كلمة سواء، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾ - الصوفية يشركون بالله شيئاً، كيف نكون معهم، وكذلك الروافض- ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[ال عمران:64].

وهكذا نحن مأمورون جميعاً أن نكون على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60].

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، كتاب وسنة يسع الجميع، ومن نئى أو نهى عن الحق، فيجب أن ينئى وينهى عنه، هذا كتاب فيه سعادتنا، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

أنا والله لكم ناصح أيها المسلمون، ألا تتفرقوا في دين الله عز وجل، وأن تعتصموا بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لسنا ندعوكم إلى أقوالنا، وآرائنا، فهذا ظلم، إن دعوناكم إلى آرائنا ظلمناكم، وإن دعوتونا إلى آرائكم أيضاً ظلم، ولكن ندعوا أنفسنا جميعاً إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ففيه السلامة

والخير والهدى، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

هذا ولعله يكون إن شاء الله تكملة فيها توضيح أكثر من هذا، فيما يتعلق بأضرار الحزبية، وأضرار العصبية، على هذه الدعوة السلفية، من القرون الماضية، ومن هذا القرن، وفي سائر الأزمنة، وكلها تنبأ بما يحصل من هذه الأضرار التي تفرق المسلمين، وتفرق شملهم، وتزعزع ما بينهم، وتجعل كل واحد يستغل منصبه، ويستغل رتبته، ويستغل جاهه، يستغله لنصرة فكره، وحزبه، وقومه، وقبيلته، وعشيرته، ويهضم ويظلم الآخرين، أو يحقر الآخرين، أو لا يعرف قدراً للآخرين، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «ومن تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه، ولا تكنوا»، ومعنى ذلك تحقير له، ويقول النبى عليه الصلاة والسلام: «ليدعن أناسٌ فخرهم بالآباء أو ليكنن عند الله كالجعلان التي تدفع النتن بأنفها»، لا تفتخر على المستقيم بما أنت فيه، ولا تعبأ بما أنت فيه، فإنه زائل، وأنت يا أيها المسئول وفقنا الله وإياك، سواء كنت أميراً

أو وزيراً، أنت اليوم وزير وغداً تحت التراب، يأكلك الدود، فيجب أن تحسب للوقوف بين يدي الله حساباً، ولا تسلط هذه الرتبة أو هذا المنصب ضد من لم ينتخبك، أو ضد من لم يكن معك، فإن الأمر دين، ونحن لا ندعوكم إلى الديمقراطية الكفرية، التي ينادي بها الكفار، كفار اليهود والنصارى، ونقول لكم: هي تدعوكم إلى أن يقول كل إنسان ما يرى، ولكن ندعوكم إلى الكتاب والسنة.

فإن الكتاب والسنة قد ضمن الله سبحانه وتعالى فيها السعادة للبشر، السعادة للزوجين، والسعادة للجيران، والسعادة للمأمور والأمر، والسعادة للحيوانات، والسعادة للحشرات، ولسائر المخلوقات كلها، إن عمل المسلمون بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [يونس: 35]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا

وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [النور: 54]، والحمد لله رب العالمين.

وهذه كلمة ملحقه بما مضى بعنوان:

الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فهذه عدة نقاط دارت في خلدي، مما يتعلق بالوسائل الخفية،
لضرب الدعوة السلفية، ورأيت أن بيان ذلك من المهمات، فما
كل إنسان يفهم هذا ويعرفه، وبيان هذا من التعاون على البر
والتقوى، ومن باب

عرفت الشر لا للشر لكن ومن لم يعرف الشر من الخير يقع
وهذا البيت الشعري مبني على حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ
رضي الله عنه عند البخاري رقم: (3606) ومسلم رقم:
(1847) قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ،
وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا
الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟
قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ
بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ

شَرِّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنِّتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

ومن تلك الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية، التحريش، الذي يقوم به أصداد الدعوة السلفية بين حملة الدعوة السلفية، علماء، ودعاة، فينشرون في أوساطهم التحريش، وليس هذا بجديد، وإنما هو قديم من زمن الإمام البخاري وشيخه محمد بن يحيى الذهلي، ومن زمن الإمام مالك وابن إسحاق، ومن زمن عباس بن عبد العظيم، وعبد الرزاق وأئمة متقدمين، وهذا جهد الشيطان.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمَصْلُونُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ بِالْتَّحْرِيشِ»، أي هو سائر في التحريش، عامل في التحريش، جاهد في التحريش، لا يفتأ

من التحريش حتى يحرش بين الأخ وأخيه، والأب وابنه، ينصب عرشه على البحر، ويبث جنوده للتحريش بين الناس، ويأتي من يخبر بأنه حرش بين فلان وفلان، فلا يحبذ ما صنع حتى يأتي من يقول: لا أزال بفلان وفلان حتى فارق امرأته، فيقول: نعم أنتَ ويتّوجه.

ومن سعى في ذلك يعتبر من جنود الشيطان في هذا، سواء حرش بين الأخ وأخيه، أو بين المرأة وزوجها، أو بين الجار وجاره، من المسلمين، كل ذلك من عمل الشيطان، وقد قال النبي ﷺ: «من خبب امرأة على زوجها، أو مملوكاً على سيده فليس منا»، ومعنى خبيبها أي: أفسدها وجعلها تبغضه، وجعل المملوك يبغض سيده، ويتمرد على سيده، فيعينه على الإباق، ويعين المرأة على العقوق والشقاق على زوجها، الذي هو العشير، وأقرب جار لها، بل إن جعل الله المودة يكون من أحب الناس إليها.

فهذا أمر ملحوظ عند العقلاء، أنه لا يمكن أن يهدأ أعداء الدعوة السلفية عن هذا الجانب، والله لو استطاعوا أن يفرقوا بين المرء وزوجه لما تحاشوا ذلك ولما اتقوا، إذا كانت داعية

إلى الله، مستقيمة على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهو على ذلك، فإنهم يتضررون أن يُبذل هذا الجهد بين أوساط الرجال والنساء، ويتعاون هو وزوجه على نشر هذا الخير، فيبذلون وسعهم جاهدين في إضعاف هذه القوى الخيرية من امرأة وزوجها.

الوسيلة الثانية: من الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية، التلفيقات والبتر والكذب عليهم، وما صنيع أولئك الفقهاء بأبي إسماعيل الهروي عنكم ببعيد؛ حقدوا عليه، فعمدوا إلى لعبة أطفال، على صورة صنم، وأرادوا أن يزوروا الوالي فمروا على أبي إسماعيل، ولما جلسوا إلى أبي إسماعيل قالوا: أردنا أن نمر على الوالي، فرأينا أن حقق أولى، نزورك أولاً ثم نمر عليه.

فجلسوا معه ووضعوا تلك اللعبة تحت فراشه وانصرفوا، ثم أتوا الوالي وقالوا: إن أبا إسماعيل يعبد صنماً، فغضب الوالي، ما يرضى في رعيته أن يحصل فيهم هذا المنكر العظيم، مهما حصل عند أولئك من المعاصي، ومن بعض من كان يسمع الغناء، وبعضهم كان عنده بعض البدع، لكنهم

يغارون على الدين، ويقيمون الشعائر، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر في الجملة.

ومن ذلك القيام بالجهاد وغير ذلك، وبُغض الكفار، كان معلوماً عندهم، فلما سمع بهذا أرسل إلى أبي إسماعيل من يتأكد من هذا الخبر، وجاء ذلك المرسول ونظر تحت الفراش، ثم أخذه معه وقال: الوالي يدعوك، فأتى إليه، وقد أعطاه المرسول تلك اللعبة، فلما جلس رفع الوالي تلك اللعبة وقال: ما هذا يا أبا إسماعيل؟ قال: هذه لعبة للأطفال، قال له: ما هذا؟ وغضب عليه، إنهم يقولون: إنك تعبد صنماً، فلما رأى أبو إسماعيل أن الأمر جدٌ، وأنه قد بُهت، وأنه قد ظلم، قال: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 16]، ورفع بها صوته، وكان جهورياً، وهي كلمة مظلوم، فوقعت في قلب الوالي، فعلم أنه مَكذوب عليه، وأن هذا من التلفيقات عليه، فلا يزال بأولئك الكذابين حتى اعترفوا، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: حملنا على ذلك شهرته بين الناس، أي: حسدوه، حتى أرادوا أن يهونوا من شأنه، عند الوالي على أقل ما يمكن، إن لم يقتله،

أو إن لم يسجنه، ويستريحون منه، فزاده الله بذلك عزاً، عند الوالي وغيره.

وأمر شيخ الإسلام ابن تيمية الذي نقله ابن بطوطة في «رحلته» هو من هذا الباب من التفهيمات التي تستخدم ضد الدعوة السلفية، شيخ الإسلام من تعرفون، زهداً، وورعاً، وعلماً، وصداً بالحق، وجهاداً في الله، بقدر ما يستطيع، نحسبه كذلك والله حسبي.

وبعد هذا كله حسده أهل زمنه من المتفقه، واقرأ في مقدمة كتابه «الواسطية»، من كتاب «المجموع في الفتاوى لشيخ الإسلام»، ترى ما صنعوا له من أجل تأليف «الواسطية»، فيها قال الله، قال رسوله، «الواسطية» فيها كلام مثل العسل، ليس فيها إلا آية وحديث، وبعض الآثار، عن السلف رضوان الله عليهم، ومع ذلك اعتبروا هذا جناية على الدين، ولا يزالون يوشون به إلى الولاه، وينصره الله عليهم، ويبهت أولئك الذين أرادوا قتل الحق، ومن البهت له، ما صنع ابن بطوطة، إذ قال في «رحلته» تلك أنه ألتقى بشيخ الإسلام، وسمع له خطبة في مسجد دمشق، وفي أثناء تلك الخطبة نزل شيخ الإسلام من

على المنبر وقال: (إن الله ينزل عن السماء كما أنزل عن منبري هذا)، سبحان الله هذا تشبيه مزري، وحاشا شيخ الإسلام من هذا القول، وإنما هو الكذب الصراح على شيخ الإسلام، وجاءوا بالتاريخ الذي ذكره ابن بطوطة أثناء لقياه لشيخ الإسلام آنذاك، وأن المتيقن أن شيخ الإسلام كان في بطن السجن، ولم يكن خطيباً في مسجد دمشق، ففضح ابن بطوطة في هذه الكذبة بالتاريخ.

الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمة الله عليه، لا يزال يكد له الصوفية وأمثالهم، وأنا أطلب من أحب أن يتأكد من ذلك، فليقرأ المجلد الأول من «رسائله»، ويعلم ما كان يشيعون عنه؛ وأنه سفاكٌ للدماء، وأنه مكفرٌ للمسلمين الأبرياء، وأنه مجسمٌ حسب قولهم، وهو يقول: هذا كلام يُكذبُ به علينا ليجتال به الناس، وليصدوا به عن الحق والسنة.

هذا من باب التنبيه في هذه المسألة، وهو عبارة عن رؤوس أقلام عن ذلك الأمر، الذي يكاد به أهل السنة، بغياً وعدواً، ولنا بحمد الله شريط بعنوان: «تلفيقات الماكرين على حملة هذا

الدين» عسى أن ينشر في رسالة، بعد النظر فيه وإضافة ما يحتاج إليه.

ولا يستبعد أن يُؤتى بصورة امرأة صالحة وهي عريانة، ولا يستبعد أن يُؤتى بصورة رجل صالح وهو يزني، يقاربون بينه بجانب امرأة، بطريقة الأجهزة الحديثة.

وكذلك يعفلون من المكر والخديعة والخيانة، التي يفعلونها عن طريق الكمبيوترات، وعن طريق الجوالات، وما إلى ذلك من أنواع الأجهزة.

يمكن أن يأخذ لك كلمة من قبل عشر سنين، ثم يلفقها بكلمة في هذا الوقت، ويلفق كلمة أنك قلت: فرعون كافر، فيأتي بها إلى رجل من المسلمين، ويطرح عليه كلمة كافر، وهكذا ما صنعه هؤلاء الحزبيون، أصحاب أبي الحسن المصري، المعروفون عندنا بأصحاب براءة الذمة في قولهم: إننا قلنا: إن أصحاب أبي الحسن يعتبرون لوطية، تالله لو قلت هذا في فرعون، وفي أبي لهب، وأبي جهل؛ لكان ظلماً، وكذباً، لأن هؤلاء كفرة، وليسوا بلوطية، فكيف بمن يقول هذا في إنسان مسلم، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «من قال في مسلم

ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال»، فنحن نبرأ إلى الله من هذا الكذب، ولنا أن نقول: على الكذاب لعنة الله، وعلى من قال هذا الكلام لعنة الله، إن هذا من الكذب، ليجتالوا به الناس، نحن والله ما نبالي، بهذه الأكاذيب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:17].

لكن حرام عليهم أن يصدوا الناس عن السنة، وعن طلب العلم، بهذه الأكاييب، كل حين يخلقون لهم كذبة؛ يهوشون بها عل الجاهل، فليستحيوا على أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل:105].

هذه المقولات يكذبون بها ويرجو نها على الناس ليصدوهم؛ عن طلب العلم، وطب العلم اشرعى سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:94]، ألا فليتقوا الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:71].

الله علق صلاح الأعمال، وغفران الذنوب، بالقول السديد، وبطاعة الله سبحانه وتعالى، لا بالكذب والتلفيق، وإذا ظهرت الكذبة عند من كُذِبَ عليه، يصير من أشد الناس بغضاً للمبلس عليه؛ لأنه غشه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»، أخرجه مسلم، ولأنه أبعد عن الهدى، وعن السنة تحت ستار الأكاذيب، نبرأ إلى الله مما خالف الكتاب والسنة، ومن كل قول باطل، هذا والله كذب علينا، عامل الله من قال ذلك الكذب علينا بما يستحق.

ومن التلفيق التي تعلمونها على شيخنا رحمه الله، كانوا ينفقون عليه: أنه لا يجيز للمرأة حلب البقرة، ويقول: ضرع البقرة هذا شبيه بالذكر، فليبتعد النساء عن حلب البقرة، وأنه لا يجيز شراء الخيار، ولا الموز، ولا إدخاله في البيوت، ومن جاء إليه يطلب العلم يأمره بتطليق امرأته لأن عقده باطل، وأنه ألف رسالة سماها: (الصواعق في تحريم الأكل بالشوك والملاعق)، ولا نزال نسمع هذه الديانات إلى أونتتنا هذه، وإنما فتروا عن ذلك لما مات الشيخ رحمة الله عليه، حولوا المقالات والأكاذيب، والبرنامج نفسه علينا، وذهبوا يتظاهرون بالترحم

والتأسف على الشيخ رحمه الله، وتالله لم يكونوا راضين عنه من قبل، ولا عن دعوته من بعد، وإنما هي السياسات الحزبية. الوسيلة الثالثة، من الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية، التصنع والتزلف، عند علماء السنة، ليتسنى للحزبيين نشر ما يريدون، فإنهم إذا أرادوا نشر فكرهم ومبدئهم دون أن يقرّبوا من أهل السنة، الناس ليس لهم ثقة في الحزبيين، انتزعت ثقة الناس عن فتاوى الحزبيين، وانتزعت ثقة الناس عن منهج الحزبيين، فعملوا الآن مكرّاً جديداً، وهو: القرب من علماء السنة، والمكث عند أقدامهم، واستعمال الأخلاق المزيفة، التي هي عبارة عن اجتذاب وامتصاص غضب ذلك العالم عليهم.

وهكذا يعمدون إلى بعض كتب السنة، فيأتونك بكلام في الحقيقة منشور في بطون كتب السنة، فيجمع له فيه رسالة، ثم يقدمها إلى ذلك العالم، فضيلة الشيخ، من فضلك قدم لي، ويقدم له ذلك وأشاد به، وبهذا يكون قد صار عند ثقة دهماء الناس، ويستطيع أن ينشر أباطيله بين أوساط العوام من تحزب، ومن غش، تحت ستار أنه طالب عند العالم الفلاني، أو أنه قدم له

العالم الفلاني، والله ما ينفعك؛ عند الله، وعند الحاذقين من خلقه، فإن واصل بن عطاء الغزال، وبعده عمرو بن عبيد وجملة من هؤلاء، كانوا من تلاميذ ذلك الإمام النحرير الحسن البصري، بل إن ذو الخوصيرة عبارة أنه واحد من أصحاب النبي ﷺ آنذاك، ممن رآه منهم من يقول منافق، ومنهم من يقول غير ذلك، بل إن ابن سلول في زمن النبي ﷺ وقد سمع من النبي ﷺ وغزى معه، وحضر معه، وصلى خلفه، وعمران بن حطان الذي صار من الخوارج يعتبر واحد ممن عايش كبار الصحابة، فهل هذا نفعهم؟، لما انصرفوا عن دين الله الحق، وبدأوا يقررون مناهج المبطلين، سواء كان منهجًا خارجيًا، أو كان المنهج القدري المتعزلي، أو ما إلى ذلك من المحاربة للسنة، ما نفعهم ذلك، ولكن نحن في زمن التباس به الحابل بالنابل، فقد يحصل من صاحب الباطل إذا تمسح بصاحب الحق؛ أن يغرر بعوام الناس وأشباههم، على حساب ذلك التمسح.

ألا فإنني ناصح لمن يبلغه هذا الكلام من علماء السنة ومشايخها ودعاتها، أن ألا يفرحوا، ولا يتكثروا بقرب من رأوا

منه الرغبة والرضى بأفكار الحزبيين، إما بأفكار سيد قطب، وإما بأفكار حسن البناء، وإما بغير ذلك من الأفكار، والله لقرب السلفي الذي يرجى خيره، ويؤمن شره، كما في الحديث: «خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره»، أجل وأفضل، وأحق من أن يقرب هذا الذي تجد منه تلك الكلمات اللماعة، وتقديم النعال، وفتح باب السيارة، ويقول: قال شيخنا، قال شيخنا، وهو على منهج منحرف.

فهذه نصيحة والله رأينا أثر هذا على الدعوة السلفية سلبياً، رأينا أثر هذا على الدعوة السلفية، يا علماء السلفية: إن الحزبيين إن قربوا منكم هو لقصد الطعن في منهجكم، وفي حَمَلَة دعوتكم، وفي أنصار السنة التي أنتم تشيدون بها، وتدعون إليها، فهم يمكرون عن طريق التزلف أو التمسح، أو التصنع أو التقديمات، ولو كانوا صادقين ناصحين، لتابوا عن فكرهم المنحرف، هذا أمر مهم، وإن قصرت العبارة، فقد وفّت الإشارة، والحمد لله.

الوسيلة الرابعة من الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية: محاولة جعل تكافؤ في الدعوات، توجد دعوات

صوفية، ودعوات حزبية، ودعوات شيعية، ودعوات حق، ودعوات باطل، فيأتي بعض الناس فيحاولون جعل تكافؤ مذهبى، وقد صرح بهذا بعض المسؤولين، ويقول: نحن ما نريد أن يكون سلفى فوق، وصوفى تحت، سلفى فوق، وحزبى تحت، ولكن يريدون أن يضربوا هذا بهذا، حتى تنفذ لهم مآربهم، ومن قال قولاً من السلفيين، يقال: قد خالفك العالم الفلانى، يأتون له بصوفى، أو يأتون له بشيعى، أو يأتون له بحزبى، فيقولون للمجتمع: هذا عالم، وهذا عالم، أنت تقول الانتخابات غير جائزة، وغيرك قال: الانتخابات جائزة، أنت تقول: الديمقراطية كفر، وغيرك مثل الصوفى الكشرك مرعى صاحب الحديدة، ومن حوله يقولون: الديمقراطية نعمة، أنت تقول: الإختلاط محرم، وغيرك يقول: هو ضرورة، أنت تقول: الربا حرام، وغيرك يقول: اقتصاد البلاد، ويجعلون الحق عبارة عن صوت من تلك الأصوات.

وهذا فى الحقيقة تزهد فى الحق، وإعراض عنه، نسأل الله السلامة والعافية، العبرة بالحق، وليست العبرة بقول فلان أو علان.

وأيضاً يحاولون محاولة أخرى: أن يجعلوا في الدعوة نفسها، من يعمل تكافئاً حتى يكونوا عبارة عن آراء متضاربة، منهمجهم واحد، وآرؤهم شتى؛ عبد الله له رأي، وزيد له رأي، وعمر له رأي، وكل واحد يريد أن ينفذ رأيه، فمن هنا يحصل الشتات، وتضارب الآراء، ويحصل ما يريده أعداء الدعوة السلفية؛ من الوقيعة منها، بالشحناء والاحتكاكات، وكل يقف ضد الآخر، ويحاولون نزع الثقة فيمن يرونه موثقاً عندهم، وأن يكون الكل عبارة عن فوضى، ليس لهم دعوة منضبطة على شخص وكم قيل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لها ولا سراة إذا جهلهم سادوا
ولكن هذه المحاولة كلّها فاشلة، بإذن الله عز وجل، وله الحمد
والمنة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾
[الروم:4]، والنبي ﷺ يقول: لابن عباس: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ
اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ
اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا
بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»،
أخرجه الترمذي، وهو حديث صحيح، ولو كان الأمر موكولاً

إلى الناس، لما قامت دعوة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وإنما ذكرنا ذلك؛ لمعرفة ما يحاك لهذه الدعوة. والله المستعان.

الوسيلة الخامسة: محاولة دخول الحزبيين في أوساط

السلفيين، وفي معاقلهم، وتفكيكهم، ألا تلاحظون حفظكم الله ما صنعوا في السعودية؟، فإنهم لما رأوا دعوة التوحيد والسنة سائدة في تلك الدولة، حاول الحزبيون من أصحاب أفكار حسن البناء، وسيد قطب، أن يدخلوا في جامعاتهم، وأن يدخلوا في شئون دعوتهم باسمهم؛ حتى أنشأوا من يقوم بالدور، ولما حصل هذا القيام بالدور، من أيادي قوية ممكنة، جعلوا يزحزون السلفيين عن كثير من الأعمال الهامة، واحداً بعد واحد.

وتالله أن الحزبيين ليسوا هادئين عن دار الحديث بدماج وفروعها، ولو استطاعوا أن يفعلوا ذلك، لأسرعوا إليه الهرولة، من أجل أن يعملوا فيه نفس ذلك الأسلوب، حتى يصير هذا يمييع هذا، وهذا إذا تكلم قام ضده فلان، ولكن والله الحمد: من حاول ذلك في مراكز السنة يبؤ بالفشل إن شاء الله،

فقد وهبنا أنفسنا للدعوة السلفية، ولا نبغي بها بدلاً ، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32].

قصّدنا أن نصير هذه المراكز زكية نقية صافية، عن الخلط والخط، متميزة على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لا يدخلها فكر تكفيري، ولا تفجيري، ولا صوفي، ولا شيعي، ولا حزبي قطبي، ولا جمعي، ولا صاحب شبهات وتلفيقات، ولا غالي وحدادي، وإنما تبقى كما هي، لتعليم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وبالله التوفيق.

والله يا أصحاب المراكز السلفية، إن دخول الحزبيين في أوساط السلفيين، من أعظم التميع لهم، ألم يقل الله سبحانه وتعالى عن المشركين: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:9]،

فقد ذكر إماما التفسير ابن جرير الطبري، وابن كثير الدمشقي وغيرهما حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فيأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: يا أبا الوليد أنت، فأتاه عتبة

فقال: يا محمد أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت شملنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا، والله ما ننظر إلا مثل صيحة الحبلى ويقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله ﷺ: «فرغت؟» قال: نعم، فقال: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾» [فصلت: 1-13]. فقال عتبة: حسبك

حسبك ما عندك غير هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا».. الخ تلك القصة.

وأخرجها أبو يعلى في «مسنده» وابن أبي شيبة في «مصنفه» وعبد بن حميد في «مسنده» ولها طرق تصير بها حسنة السند، كما أنها حسنة المتن.

فأئمتنا نصرهم الله بالحق؛ أبو إسماعيل الهروي يقول: عرضت على السيف كذا، وكذا مرة، لا يقال لي اترك دينك، ولكن يقال لي: أسكت عن خالفك، فأقول: لا.

فهذا من أعظم الوسائل، وهو محاولة دخول المبطلين في أوساط السلفيين، والتغلغل فيهم، وكما يقال: واحد مخرب يغلب مائة مصلح؛ لو جاء مائة واحد يبنون جداراً، وواحد يهدمه تراه يسبقهم.

فلو وجد حزبي واحد في دار، ما تدري إلا وقد قرقر في أذن هذا، وفي هذا، ولا تدري إلا وعندك كتلة داخل الدار عصابة، هذا مريض، وهذا مريض..، وكم تسعف، ونسأل الله العافية.

الوسيلة السادسة: زرع الجدل في أوساط السلفيين، بألفاظ مجملّة، وقد ثبت من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ما ضل قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»، ومن أشد الناس جدلاً وفراغاً هم الحزبيون أهل الباطل، ما عندهم ما يشغلهم، حتى لما كانوا فارغين، شغلوا أصحابهم ومن يليهم بعلم لا ينفع، ولا يستطيعون أن يعرفوا به كيف يصلون، وكيف يوحدون الله سبحانه وتعالى ويعبدونه، سموه: (الإعجاز العلمي)، وبذلوا له الملايين من أموال المتطوعين، وأنشأوا له المعاهد، وأوجدوا له المدرسين، ويضيعون الناس، يقول قائلهم: من الإعجاز العلمي أن فرعون مات بالغرق، لقد اكتشف الآن أنه أوتي بمختبرٍ طبي، فاخبروا تلك الجثة، فوجدوها أنها ماتت بالغرق، ويأتون بأدلة، قال تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

وما تبين لكم الحق إلا بذلك المختبر، أن فرعون مات بالغرق، وفي القرآن عدة آيات أن الله أغرق فرعون، فتأتون له بهذه الشواهد والمتابعات.

انظروا يا إخوان عدم القناعة بالحق، والتشكيك فيه عن طريق الإعجاز العلمي، وأن هذا هو التوحيد، فهذا زرع الجدل بين أوساط الناس، فلا تجد من يسمع بهذا إلا وهو يقول: رأيت هذا صحيح، أم ليس بصحيح؟، ويشغلون الناس بهذا الضياع، فالجدل من وظائف هؤلاء الفرغ.

ومما يصنعونه بين أهل السنة وغيرهم، مسائل لا خاضها البخاري، ولا مسلم، ولا الإمام أحمد، ولا مالك، ولا الأوزاعي، ولا أئمة السنة، من السفينين، والحمدين، وغير هؤلاء، ما أحد قال في ذلك، تارك جنس العمل مسلم أو كافر؟ هذا السؤال محدث، لم يكن في كتاب ولا سنة، وأيضاً هذه ألفاظ مجملة، من علم كفره بالدليل يقال: كافر، أما هذه الاجمالات فمحدثة، وقد تُستغل ممن لم يفطن للتفصيل في ذلك. ومن هذه المسائل الجدلية، التي يطرحونها في أوساط السلفيين لشغلهم وتضييع أوقاتهم، قول بعضهم: هل العمل شرط في صحة الإيمان، أم في كمال الإيمان، وهذا أيضاً الذي عليه الدليل، والذي عليه السنة، وبوب عليه البخاري: أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، ومن أدلة ذلك، قول الله تعالى: ﴿وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ﴾[البقرة:143]، وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الإيمان بعض وستون شعبة، أعالها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، وحديث: «حب الأنصار من الإيمان، وبغضهم من النفاق».

والحزبيين يأتون بألفاظ مجملة يشغلون بعض طلبة العلم، فبعضهم كل ما وجد من قربة لقطها، ويظن أنه حصل على علم، ويريد أن يقررها على زميله.

وهذا إن شئت أعرضت عن ذلك، وهو أولى، وإن أردت أن تفصل فتقول: من العمل ما تركه كفر، ومن العمل ما تركه ليس بكفر، وإنما هو نقص في كمال الإيمان، من العمل ما حصوله شرط صحة، وهو التوحيد، لا إله إلا الله، «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، ويدخل الإنسان في الإسلام بلا إله إلا الله، بالإخلاص، وأما رد السلام، إكرام الضيف، حُسن الجوار، التعاون على البر والتقوى، هذا شرط كمال في الإيمان، وليس شرط صحة.

وكم شغلوا الناس بنظرية داروين، وأن الإنسان كان أصله قردًا، والله عزوجل يقول: ﴿مَا أَشْهَدُتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف:51].

وكم شغلوا الناس ببعض نظريات الكفار: أن الشمس ثابتة، والأرض تدور، والله عزوجل يقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:38]، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر:41].

والأولى البُعد عن الجدل الفارغ، وطالب العلم بحاجة أن يقبل على ما ينفعه كما قال النبي ﷺ: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن».

الوسيلة السابعة: تشويه صورة الدعوة، إما بتكفير، وإما بغلو في تبديع أو تفسيق بغير حق، ونحو ذلك، مما يحصل من الحداذية وأضرابهم، فلهذا يستغله أعداء الدعوة السلفية؛ لتنفير الناس عنها، ويصير هذا من أعظم الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية.

وليس ببعيد أن يدس أمثال هؤلاء لمقاصد؛ فإننا نلاحظ بعض من يعيش في أحضان الكفار في بريطانيا، وغيرها من بلاد الغرب، ويقوم في وسطهم ببعض التفجيرات؛ التي يستفيد منها الكفار في ضرب الإسلام، واضطهاده أهله، واستغلال كثير من ثرواتهم، مقابل تلك التفجيرات، وهذا نموذج واحد لخطط أعداء الحق.

من الوسائل الخفية لضرب الدعوة السلفية: مد الأيدي لبعض المغفلين من السلفيين، وبذل الأخلاق المزيفة، فترى بعض السلفيين، إذا احتك بحزبي، وعنده بعض الأخلاق أو رأى منه بعض العطايا، والهدايا، بعدها يتلقى منه التزهيدات في إخوانه السلفيين، وفي منهجهم، وفي دعوتهم، وسيرتهم، ولو كانت بباطل ملبّس، إنقذح ذلك في قلبه وذهب يدافع عن ذلك الحزبي، ويكون عبارة عن موزع لفكره بين أوساط السلفيين، فيكون ذلك المغفل، استغله الحزبي بهذه الوسائل، والله المستعان.

الأخلاق المطلوبة، الخُلُق الحسن مطلوب، ولكن ليس خلق حسن على حساب عقيدتك، وعلى حساب الدعوة السلفية، يعطيك خلقًا حسنًا ويغرر بك، ويبعدك عن العلم والسنة.

الوسيلة التاسعة: التنفير المباشر عن الدعوة السلفية، بقولهم: هؤلاء يجرحون، هؤلاء يتكلمون في العلماء، هؤلاء يغتابون، هؤلاء شغلوا أنفسهم بالكلام في الناس، هذا تنفير مباشر، وهناك تنفير غير مباشر؛ وهو أوسع وأشد، وأضر من الأول، وهو نوع من التزهيد عن علماء السنة، وعن تلقي العلم عنهم؛ بالطعن في قدرتهم العلمية، ويغلون ويبالغون فيمن هو معهم، ولو لم يبلغ في العلم عشر ذلك السلفي، أو يقولون: ما عندهم شهادات، أو ما عندهم تنظيم، أي: عل ما يريدون، أو ما عندهم أكل طيب، ويكون في هذا التزهيد صرفه عن الخير. والتحذير غير المباشر، قد يحمله بعض المغفلين حتى وإن كان سلفياً.

الوسيلة العاشرة، من الوسائل لضرب الدعوة السلفية، تشويه صورة الجرح والتعديل، الذي أجمع عليه علماء المسلمين، والذي عليه أدلة الكتاب والسنة، وفي مقدمة

«المخرج من الفتنة» ومقدمة «الجامع الصحيح» ومقدمة «الطبقات لما حصل للدعوة السلفية بعد موت شيخنا رحمة الله عليه من الحالات»، قدر طيب والله الحمد، وقد قرر ذلك أهل العلم في بطون الكتب، بما لا مزيد عليه.

وهؤلاء يظهرون الجرح والتعديل، لمن يستحقه، وممن هو أهل له، ويجعلونه غيبة، ويشهونه، حتى لا يزهد الناس فيهم، وحتى يكون كل الناس عندهم على حق، ويصير كما يقول بعضهم: والله جعلتمونا في دوامة، ويصير كما يقول بعضهم: والله ما ندري مع من الحق، من أين جاء هذا؟ من التميع، ومن التزهيد، ومن تشويه صورة الجرح والتعديل، وصورة أهل السنة، وصورة علماء السنة الحق، مخطط فاجر، سلكه فرعون، وجنوده، ضد موسى عليه الصلاة والسلام، حتى أظهروا للناس أنه يريد أن يظهر في الأرض الفساد، وحتى أظهروا أنهم هم المصلحون، قال فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29].

وقال الله: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: 97]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26].

وسلكه المنافقون، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 12].

وسلكه اليهود والنصارى والمشركون ضد النبي ﷺ أنه ساحر، وأنه كاهن، وأنه به مرض، وما إلى ذلك حتى جاء ضماد الأزدي، وقال: يا رسول الله، إنهم يقولون: إنه بك ريح، وإنني أرقى من هذا الريح، إن شئت رقيتك، ولما فرغ قرأ النبي ﷺ: «الحمد لله، نحمده ونستعينه، ... إلى آخر الخطبة البليغة».

قال ضماد الأزدي رضي الله عنه: أعدّها عليّ، فأعادها عليه، قال: والله لقد بلغنا ناعوس البحر، وما هي بالشعر، ولا بالسحر، ثم بايع النبي ﷺ في الحال، لما تبين له أكاذيب أولئك الذين يقولون إن النبي ﷺ: إنما به سحر، وهكذا ثمانية لما ربط في سارية كان النبي ﷺ يمر عليه ويقول: «ماذا عندك يا

ثمامة؟»، قال: عندي خير يا رسول الله، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، فكان كذلك اليوم الأول، والثاني، والثالث، ثم أطلقه رسول الله ﷺ، ولما أطلقه أسلم، وقال: والله يا رسول الله، ما كان على وجه الأرض من وجه أبغض إليّ من وجهك، ولما أسلمت كان وجهك أحب الوجوه إليّ على الأرض، وما كان من دين أبغض إليّ من دينك، والآن ليس ديناً أحب إليّ من دينك، وما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، والآن بلدك أحب البلدان إليّ، إلى آخر ما ذكره قالوا: صبوت، قال: ما صبوت، ولكني أسلمت.

لما تبين له، ورأى الخلق الحسن؛ من رسول الله ﷺ، مكارم حقه، ودلائل نبوة، وذهب عنه ذلك الزيف والتشويه الذي كان يُلقى عليه ويسمعه عن رسول الله ﷺ.

الوسيلة الحادية عشر: محاولة إدخال السلفيين في أعمال الحزبيين، فرب سلفي يقال له: تعالى اعمل عندنا أنت أمين، تقوم بهذا الواجب، فلو تخلى عنه أمثالك سيضيع، ولا تدري بعد أيام إلا وقد صار ضدّاً للحق، ويتنكر لما كان يدعو إليه من قبل، وهذا ما هو خافي عنكم، أن أناساً التحقوا بالحزبيين،

وبجمعاتهم، إما أخذوه للإمارات، وبقوا يجالسونه العشاء عند فلان، والفتور عند فلان، والغداء عند فلان، وفلان عنده جلسة، ويلتقي بالشيخ الفلاني، حتى صار مميعاً، وصار متتكرراً للدعوة السلفية، وصار يقول: إن جاءني تبليغي أمكنه، وإن جاءني إخواني أمكنه، وإن جاءني سلفي أمكنه، ولا أرد أحداً من مسجدي فالناس كلهم عنده على الحق.

الثاني عشر: إثارة الطالب على شيخه، ولا تتكلف كبير شيء، فلکم عبرة بما حصل من إثارة أصحاب جمعية إحياء التراث، أصحاب جمعية الحكمة، على الشيخ مقبل رحمة الله عليه، أثاروا عليه أناساً هم من تلاميذه، وبعد ذلك يقوم واحد من هنا، وواحد من هناك، وواحد من هناك، ثم يكونون لهم جمعية، ويحتقرون الشيخ أنه عنده أخطأ لا يعرف القياس، وأنه في مسألة الإجماع أيضاً لم يحسن في ذلك، أنه، وأنه، كما صنع أحدهم آنذاك، وهو: محمد بن موسى البيضاني، فغرروا بهم حتى قال قائلهم: القافلة ماشية، إما أن تلحق بنا؛ وإلا فإنك لم تضر الدعوة، وما هي إلا أيام وترى أحدهم مخزناً، ضائعاً، وليس له أي أثر علمي نافع.

أليس هذا من المسخ؟، ومن إثارة الطالب على شيخه؟، وعلى أن هذا الطالب إذا ثار على شيخه السلفي معناه، على أنه أستفاده الحزبيون، وحُرم من شيخه، وقد تفشل دعوته؛ كلما ذهب إلى بلدٍ، يقولون: هذا تكلم فيه شيخه، وهو أعرف الناس به.

الناصحون ما يقبلونه؛ من ناحية أنه مجروح، ومن أجل أنه تكلم فيه شيخه، وغير الناصحين يتخذنها سُلماً لضرب دعوته، فهذه من جراء إثارة الطالب على شيخه، وجعله يحتقر شيخه، ويتناول عليه.

وقد ضاع أصحاب براءة الذمة والله بسبب غش بعض الحزبيين لهم، وهو أبو الحسن، وما كان في صالحهم. والله المستعان.

هذه نحو أثني عشر نقطة ذكرناها، لا على سبيل الحصر، ومن أخطرها عندي هي النقطة الثالثة: التصنع والتزلف عند علماء السنة، ليتسنى لذلك الحزبي، أن ينشر أفكاره، فقد حصل بسبب لك لبس شديد على كثير من الناس. والله المستعان.

من إصداراتنا:

- (1) أحكام التيمم.
- (2) الإتحافات بتلخيص الحاوي للسيوطي رحمه الله ونقد ما فيه من الشطحات.
- (3) توضيح الإشكال في أحكام اللقطة والضوال.
- (4) الأدلة الزكية في بيان أقوال الجفري الشركية.
- (5) أضرار الحزبية على الأمة الإسلامية.
- (6) التحذير عن أهم الصوارف عن الخير.
- (7) جلسة ساعة في الرد على المفتين في الإذاعة.
- (8) الحث والتحذير على تعلم أحكام المريض.
- (9) السيل العريض الجارف لبعض ضلالات الصوفي عمر بن حفيظ.
- (10) فتوى في حكم الدراسة الإختلاطية.
- (11) الأجوبة السنية وكشف بعض أباطيل الصوفية.